المحاضرة الأولى

تطور فكرة العمل المسلح خلال مرحلة الحرب العالمية الأولى(1939-1945)

مقدمة:

ظلت فكرة العمل المسلح على رأس اهتمامات مجموعة من الرواد الوطنيين الأوائل النشطاء، ضمن صفوف التيار الثوري الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية منذ بداية الحرب العالمية الثانية سنة1939 وما صاحبها من دعاية ألمانية لإثارة شعوب المستعمرات الفرنسية والإنجليزية الأمر الذي دفع بالأسلوب الثوري إلى الانتقال من التصور إلى العمل الميداني، ورغم فشل المحاولات التي صبت في هذا الاتجاه إلا أن الحرب كان لها كبير الأثر في بعث فكرة الخيار العسكري لتحقيق المطالب الوطنية واعتبرت نتائج 8 ماي 1945 مهمة جدا بالنسبة للعمل المسلح، وأثرت بعمق على تطور الوطنية الجزائرية *(Nationalisme Algerian)* لدى الكثير من الجزائريين بشكل عام وعند المناضلين في صفوف الجناح الثوري في الحركة الوطنية،وأصبح العنف هو الرد الضروري على العنف الاستعماري وأصبح احتمال المجابهة المسلحة، يفرض نفسه على ثلة من المناضلين النشطاء منذ هذه الفترة أخذ يتبلور شيئا فشيئا ولم يكن إنشاء التنظيم شبه العسكري الممثل في المنظمة الخاصة(L'08) كذراع مسلح لحركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية سوى تعبيرا عن هذا التطور الحتمي للفكر التحرري الذي تبنته الكثير من الأقطار في قارتي إفريقيا وأسيا خلال القرن العشرين.

انطلاقًا من المعطيات التاريخية المتوفرة حول المسار السياسي للحزب (حزب الشعب الجزائري) والظروف التي مر بها خلال هذه الفترة، يمكن تلخيص على سبيل الاجتهاد أهم الأسباب والعوائق التي جعلته يضيع فرصة جمع السلاح والذخيرة التي ارتبطت بنجاح مشروع العمل العسكري عند التيار الاستقلالي:

– كان حزب الشعب الجزائري خلال مرحلة الحرب (1939-1945) مُحلًّا من طرف السلطات الفرنسية التي لجأت إلى إلقاء القبض على إطاراته ومناضليه، وألقت بهم في السجون، ومنعتهم من أي نشاط سياسي.

– لم يكن الخيار العسكري (المسلح) حلًّا رسميًا بالنسبة لإطارات الحزب ومناضليه، إذ كانت طموحاتهم في التغيير بوسائل سياسية إلى غاية مجازر الثامن من ماي1945.

– عدم وجود جهاز عسكري خاص بهذه المهمة (التسليح)، كما هو الحال بعد تأسيس المنظمة الخاصة سنة 1947.

– إن فكرة العمل المسلح بالنسبة للحزب لم تكن قد بلغت مرحلة النضج، وعلى هذا الأساس لم يكن هناك دافع إلى إدراج مسألة التسليح في برنامج الحزب.

1–دور لجنة العمل الثوري لشمال أفريقيا CARNA

لقد ساد عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة 1939، شعور كبير بالخيبة والإحباط في أوساط الجزائريين، سواء لدى العامة، أو لدى النخبة، لأن حكومة الجبهة الشعبية التي قدمت وعودًا كبيرة لهم لم تكن أحسن من سابقاتها على أرض الواقع ولم تفِ بوعدها. هذه الخيبة كانت أشد وقعًا وأثرًا ومرارةً على مناضلي حزب الشعب، وحتى لدى الاندماجيين، خصوصًا بعد حملة القمع والمطاردة وحل الحزب–حزب الشعب الجزائري–؛ الأمر الذي دفع ببعض المناضلين الراديكاليين في الحزب إلى التفكير في العمل المسلح. لكن كيف السبيل إلى الحصول على السلاح؟ ومن أين؟ لذلك توجهت أنظارهم حسب المناضل بن يوسف بن خدة نحو ألمانيا العدو التقليدي لفرنسا، وقد كان بلقاسم راجف أبرز دعاة الاحتكام إلى السلاح في الحزب، وقد قادته هذه الغاية إلى الاتصال بالألمان بعد أن تمّ التشاور مع بعض العناصر الأخرى مثل حاج دحمان، ومحمد ربوح وتحضير اللّقاء مع السلطات الألمانية سرًّا.

ولم تمنع الوضعية التي كان عليها الشعب الجزائري هؤلاء الوطنيين النشطاء في صفوف التيار الثوري ومن تلقاء أنفسهم إلى القيام بجهود معتبرة من أجل تلقي التدريب والحصول على السلاح والذخيرة، وقد تمت هذه الخطوات حسب المصادر التاريخية خارج إطار الحزب ودون علم قيادته.

ولعل هذا الدور الريادي يعود إلى مجموعة من المناضلين في حزب الشعب الجزائري المحلّ، الذين تمكنوا في ربيع 1939من تشكيل النواة الأولى للجنة العمل الثوري لشمال إفريقيا **Comitéd'actionrévolutionnairenordafricain**،التي اعتبرت عند الكثير من المهتمين بهذه المرحلة اللبنة الأولى في طريق العمل المسلح، وتكونت هذه اللجنة حسب بعض المصادر من: عمر حمزة، وعمارة رشيد، وعبد الرحمن ينس، وأحمد فليته،ومقيدش لخضر، وعلي زاوي أما محمد طالب فقد كان منشطًا للفوج.

ويبدو أن هذه اللجنة بدأت نشاطها عقب اللقاء الذي جمع بين راجف بلقاسم ومحمد ربوح مع السلطات الألمانية، بهدف إرسال مجموعة من الشباب الجزائريين إلى ألمانيا لتلقي التدريب العسكري وإمكانية الحصول على السلاح، مع التذكير بأن هذه الخطوات كانت فردية دون أن تكون قيادة حزب الشعب على دراية بذلك.

قام مؤسسو اللجنة بسلسلة من الاجتماعات في سانت أوجين وغابة بينام لوضع الأهداف التي أسست لأجلها، وهو تكوين أول نواة عسكرية مدربة للقيام بعمل في كامل منطقة المغرب العربي، إلا أنهم اجتمعوا على قناعة تامة بأن ذلك لا يتحقق إلا بعد الحصول على السلاح اللازم.

وقد قرر أعضاء اللجنة في آخر اجتماع لهم بتاريخ 15 ماي 1939 قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية إرسال وفد مكون من: أحمد فليته، ومحمد طالب، ولخضر مقيدش وعمر حمزة لطلب المساعدة المادية، وخصوصًا الأسلحة والذخيرة، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الوفد مكث في ألمانيا ما يقارب الشهر (من20جوان إلى غاية 15 جويلية 1939)، حيث تمكن خلالها من أخذ فكرة تقنيات حرب العصابات وعمليات التخريب، وصنع المتفجرات والتدريب على استعمال الأسلحة الفردية، كما تلقى وعدًا من السلطات الألمانية بمساعدة عسكرية عند بداية الكفاح المسلح في الجزائر، وعلى هذا الأساس يمكن القول:إن عملية التحضير لخطوة نحو انطلاق العمل المسلح كانت الهدف الأساس بالنسبة لهاته المجموعة من خلال المساعدات الألمانية.

ومهما يكن من أمر؛ فإن تلك النشاطات التي قامت بها اللجنة لتحقيق هدفها عديدة ومتنوعة، إلا أنه يجب التركيز فقط على النشاطات التي ترتبط بصلب هذه الدراسة

وعلى رأسها مهمة جمع السلاح وتخزينه، حيث نشطت منذ البداية بهدف الحصول على سلاح والذخيرة، وركزت على هذه المسألة في معظم اجتماعاتها، باعتباره أهم وسيلة لتحقيق مشروع الخيار العسكري، وكانت هذه الأسلحة متوفرة في عدة أماكن من التراب الوطني، ووجدت بعض هذه الشحنات دون حراسة مشددة، وقد تركز البحث بشكل خاص على أسلحة معينة كالرشاشات والمسدسات من نوع 7.65ملم، و12ملم، بالإضافة إلى القنابل اليدوية الدفاعية.

وقد قام أعضاء اللجنة بتجريب السلاح الذي تمكنوا من جمعه، وبعد التأكد من صلاحيته قرروا الحصول على المزيد منه، معتمدين في ذلك على الوطنيين من المجندين في صفوف الجيش الفرنسي، وقد استعملت عدة طرق لنقل الأسلحة بعيدًا عن أنظار السلطات الاستعمارية.

بناء على ما سبق ذكره؛ يمكن القول:إن لجنة العمل الثوري لشمال أفريقيا هي أول تنظيم شرع في تهيئة أرضية العمل المسلح، منذ دخول الجزائر في مرحلة النضال الشرعي في إطار ما تسمح به القوانين الفرنسية، إلا أن مصالي الحاج رفض التعاون مع ألمانيا النازية، إلى درجة أنه قام بإبعاد عناصر لجنة العمل الثوري عن الحزب، بحجة أن الشعب غير مستعد بعد للقيام بالثورة، وأن العمل المسلح لم يصل إلى مرحلة النضج، كما رفض مصالي التعاون مع الألمان، لأنهم ليسوا محلّ ثقة، في وقت يتحدث فيه هتلر باحتقار عن العرب في كتابه كفاحي، وفي نفس السياق يذكر المناضل محمود عبدون بأن مصالي لم يكتفِ بهذه الإجراءات، بل طلب من كل عناصر اللجنة أن تقدم استقالتها من الحزب فورًا.

لقد واجهت عناصر لجنة العمل الثوري في حقيقة الأمر عدة صعوبات في تحقيق أهدافها، وعلى رأسها عدم وجود جهاز سري محكم ومنظّم يمكن من خلاله تعبئة الجماهير وهيكلتها للقيام بعمل مسلح، بالإضافة إلى نقص العامل المادي (السلاح)؛ الأمر الذي لم يكن يشجع على العمل المسلح، خصوصًا خلال تلك المرحلة، كما أن قادة الحزب لم يكونوا متفقين حول مشروع الخيار العسكري، وقد بقي هذا الاختلاف قائمًا حتى موعد اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954.

في خضم هذه الظروف قرر أغلب أعضاء اللجنة الانسحاب منها دون أن يؤثر على تفككها، وقد تكونت لهم بعد تجربتهم الميدانية القصيرة قناعة ثابتة بضرورة تشكيل فصيل يكون أكثر قوة وتنظيمًا يعمل على احتواء وتعبئة العناصر المناضلة، وعلى هذا الأساس قامت عناصر اللجنة بالسعي إلى تشكيل منظمة تتولى مهمة التحضير للعمل المسلح، بعد فشل مساعي عناصرها في الحصول على دعم خارجي.

2-منظمـة الراشد 1943

ومع مطلع سنة 1943 اجتمع أعضاء اللجنة السابقة بمدرسة الراشد، واتفقوا على تأسيس منظمة جديدة عرفت في الكتابات التاريخية بتنظيم مدرسة الرشاد، وقد ترأسها في بداية مسيرتها كل من محمد طالب وحسن عسلة، ثم توسعت تركيبتها بعد عملية الاتصالات والتعبئة، حيث شملت باقي المناطق عندما التحق بها كل من: حمو بوتليلس بوهران، وجمال دردور بقسنطينة والشاذلي المكي بتبسة والحاج الحسين من المدية.

وحول ظروف وقائع تأسيس هذا التنظيم يذكر المناضل سيدي علي عبد الحميد الذي يُعدّ من أبرز أعضائها أنه بعد نزول الحلفاء بالعاصمة سنة 1942 وعودة النشاط السياسي، اجتمع بمدرسة الراشد بعض المناضلين النشطاء في اللجنة السابقة، وأعلنوا عن ميلاد تنظيم عسكري جديد، وهم:محمد طالب وعلي حاليت وعسلة حسين وعبد المالك تمام، ومحمود عبدون وسيد علي عبد الحميد (مسير المدرسة) والشيخ أحمد بن الشيخ (معلم المدرسة)، بعد أن اقتنعوا بأن النشاط الواسع يتطلب إيجاد منظمة قوية وقادرة على استغلال وتعبئة كل الطاقات البشرية والشبانية منها على الخصوص ومنح حيوية لضمان مسيرتها ونشاطها.

وقد حاول هذا التنظيم الجديد من خلال هيكلته تجنيد الفئات الشعبية حوله، وتمكن بعد فترة قصيرة من تكوين مجموعات شبانية في المدارس والجمعيات والنوادي وغيرها، وتمثلت مهمتها بشكل خاص في تكوين الخلايا السرية هنا وهناك، ومن أبرز هذه المجموعات الشبانية التي لعبت دورًا رياديًا في عملية جمع السلاح والذخيرة نجد المجموعة الشبانية النشطة في حي بلكور، وهي في شكل تنظيم عرف بلجنة شباب بلكور "le comité de la jeunesse .de Belcourt"

3- لجنة شباب بلكورCJB نحو ترسيخ فكرة العمل المسلح1942

عرف التنظيم العسكري الجديد بلجنة شباب بلكور، وشرعت في نشاطها مع سنة 1942، تحت إشراف المناضل الشاب محمد بلوزداد، الذي يُعدّ محركها الرئيس برفقة أحمد مهساس ومحمد يوسفي، وقد تمكن هؤلاء الشباب بفضل عملية واسعة أطلق عليها اسم "عملية استرجاع Récupérationopération" من الاستيلاء على أسلحة خفيفة وقنابل ورشاشات بالمعسكرات الأمريكية، وأصبح توزيع المناشير وكتابة الشعارات على الجدران يتم تحت حماية المجموعات المسلحة.

كما عُدّت عملية جمع السلاح على رأس أولويات اللجنة، حيث يذكر المناضل محمد يوسفي باعتباره أبرز العناصر النشطة التي كُلِّفت بالإشراف على هذه المهمة بأن قيادة اللجنة قررت في ربيع 1944 الاستيلاء على بعض الأسلحة الخفيفة، وقد كلفته رفقة المناضل أحمد مهساس من أجل تحديد مكان تواجد الأسلحة في المعسكرات الأنجلوأمريكية، واشتملت شحنة الأسلحة التي غنموها على مسدسات من عيار 9ملم و12ملم، مجهزة بأمشاطها وبعض القنابل الدفاعية اليدوية ومجموعة من الرشاشات، وقد جربت أنواع هذه الأسلحة في غابة الأقواس بالعاصمة، وتمت المهمة دون حادث يذكر؛ الأمر الذي شجع قيادة اللجنة على العزم للاستيلاء على شحنة كبيرة من الأسلحة والذخيرة، ولتحقيق تلك المهمة كان من الضروري الحصول على الشاحنة الأمريكية من نوع GMC التي قادها الجندي المناضل محمد خميسة، ورافقته في مهمته وحدة الصدام التابعة للتنظيم العسكري الجديد "CJB"، وقد انتهت العملية المعروفة بعملية "الاسترداد" بنجاح كبير في نفس اليوم، ويضيف المناضل محمد يوسفي في نفس السياق أن جزءًا من هذا السلاح استخدمته فصائل الصدام التابعة لحزب الشعب الجزائري المحلّ فيما بعد. أما الجزء الأكبر فقد خصص بعد أن تمّ نقله من مخبأ لآخر للنشاطات الشبه عسكرية التي قامت بها المنظمة الخاصة، أما بالنسبة لعمليات توزيع المناشير وكتابة الشعارات على الجدران؛ فقد قام بها مناضلو اللجنة بالتناوب وبحماية جماعات مسلحة.

وعلى الرغم من السرية التامة التي ميزت نشاطات اللجنة المختلفة وقصر المدة منذ تأسيسها؛ إلا أنها تمكنت من تحقيق شعبية واسعة النطاق لنفسها بين أوساط الشعب

الجزائري، كما لعبت دورًا مهمًّا في تجديد الجماهير لمشروع الخيار العسكري واستعمال القوة ضد السلطات الاستعمارية لتحقيق المطالب الوطنية.

وبالنظر إلى التجربة التي مرت بها اللجنة خلال مرحلة الحرب العالمية ومأساة الـ8 ماي 1945؛ يمكن القول:إنها فشلت في تجسيد الهدف الذي أنشئت لأجله، وهو تفجير الثورة ضد الاستعمار خلال الحرب العالمية الثانية، إلا أنها من جهة أخرى نجحت في بعث وترسيخ فكرة العمل المسلح بعمق ضمن توجهات حزب الشعب الجزائري حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية MTLD – PPA، وقد تجسد ذلك ميدانيًا من خلال تشكيل فصيل أو ذراع مسلح عرف بالمنظمة الخاصة"L'Organisationsecrété".

6-مجازر الثامن مايو 1945 خطوة نحو العمل المسلح

مما لا شك فيه أن مجازر الثامن ماي 1945 شكَّلت منعطفًا حاسمًا في مسار الحركة الوطنية، لأنها مثلت بداية تحول هذا المسار من الكفاح السياسي السلمي وما رافقه من تنظيمات حزبية ومطالب نيابية واحتجاجات رسمية، إلى الكفاح المسلح بأسلوبه الثوري الصدامي العنيف قصد القضاء على الاستعمار الفرنسي.

وقد شكلت الجزائر مسرحًا من مسارح الحرب العالمية الثانية، وما أسفرت عنه- أي الحرب العالمية الثانية – من وعي سياسي دفع الشعب الجزائري وشعوب عديدة للمطالبة بالحرية والتحرر.

ومن هنا كانت هذه الأحداث مهمّة؛ نظرًا لنتائجها وأبعادها الثورية وتضحياتها الجسمية، فقد بينت عمق الأسلوب السياسي السلمي الذي اتبعته تيارات الحركة الوطنية منذ مطلع القرن20، وإن كانت هناك محاولات فردية أو جماعية كجماعة بلكور أو لجنة العمل الثوري لشمال أفريقيا التي حاولت الشروع في العمل المسلح.

فكانت انتفاضة 8 ماي 1945 رغم قساوتها تجربة جديدة عمقت الهوة بين الجزائريين والاستعمار الفرنسي، واقتلعت نهائيًا فكرة التعايش والاندماج مع المحتل المستبد، مقنعة في ذلك الشعب الجزائري كله بفكرة الاستقلال الكامل والحتمي، وذلك بقوة السلاح كوسيلة فعالة، والابتعاد عن الوعود والمشاريع الاستعمارية الكاذبة، حيث اقتنع أن النضال السياسي

عقيم لا فائدة منه.وهكذا بدأ الجزائريون بالتوجه نحو فكرة الإعداد لثورة مسلحة لتحطم القيود والأغلال، وهكذا شهدت الفترة الممتدة بين 1945-1954 تصاعدًا عمَّق الاتجاه الاستقلالي وفكرة الإعداد الجاد لثورة مسلحة شعبية كبديل للممارسات النضالية السابقة، وهذا كله ما تجسد في المنظمة الخاصة 1947م.

-نضج فكرة العمل المسلح لدى قادة الثورة الأوائل

(جهود فردية للحصول على السلاح)

يجب على الدارس لهذا الموضوع أن لا يغفل تلك المجهودات الفردية لبعض قادة الثورة الأوائل قبل بدايتها بكثير بغرض الحصول على الأسلحة والذخيرة، وهنا نشير إلى العملية التي أقدم عليها محمد العربي بن مهيدي الذي قام بسرقة مسدسين من ثكنة ورقلة التي كان عاملًا في إحدى مصالحها.كما قام سويداني بوجمعة عقب استدعائه للتجنيد الإجباري سنة 1944 بمحاولة تهريب الأسلحة من الثكنة قرب مدينة سطيف، بعد قيامه بجمع كميات من الأسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية، حيث استفاد من العلاقة التي ربطها مع أحد الجنود، واتفق معه على تهريب بعض قطع الأسلحة المتمثلة في (02 ماط 49، ومسدسين و120 خرطوشة)، وذلك على دفعتين، إلا أنه انكشف أمره في المحاولة الثالثة، ومماالاشكّ فيه أن هذه الجهود كانت استجابة لمتطلبات وظروف المرحلة، واستجابة أيضًا لنصائح وتوجيهات بعض المناضلين والقادة في التيار الاستقلالي على غرار محمد بلوزداد ومصطفى بن بولعيد، اللذين كانا ينصحان دائمًا بضرورة الحصول على سلاح فردي، وعلى هذا الأساس، فإن عملية جمعه وتخزينه بالنسبة للمناضلين كانت في حقيقة الأمر قبل بروز المنظمة الخاصة "LOS" واهتمامها بهذه المسألة، إلا أن وتيرة العمل في هذا المجال كانت بقوة وبطريقة أكثر تنظيمًا وشمولية بعد الإعلان عن ميلاد المنظمة الخاصة سنة 1947.

في ختام هذه الدراسة يمكن للباحث من الوقوف على جملة من النتائج والاستنتاجات التي يمكن حصرها في مايأتي:

1. شكّلت ظروف الحرب العالمية الثانية عاملًا من العوامل المساعدة على تبلور ونضج فكرة مشروع الخيار العسكري، في خضم مختلف ردود الفعل الاستعمارية من جهة، والدعاية

الألمانية من جهة أخرى، وهو المشروع الذي تبنت أهدافه ثلة من الرواد الوطنيين الأوائل في صفوف حزب الشعب المحلّ خلال مرحلة حاسمة من مراحل تطور الحركة الوطنية الجزائرية.

2. عُدّت لجنة العمل الثوري من أجل تحرير شمال أفريقيا "CARNA"النواة الأولى لمشروع العمل الميداني المسلح في مرحلة الحركة الوطنية والنضال الشرعي، في إطار ما تسمح به القوانين الفرنسية،وعُدّت من جهة أخرى استجابة للدعائية التي بثتها ألمانيا وإيطاليا بالجزائر مع اندلا ع الحرب العالمية الثانية سنة1939.
3. على الرغم من أن النزوع نحو العمل الثوري يعود بجذوره إلى سنوات الحرب العالمية الثانية؛ إلا أن مجازر 8 مايو التي عززت قناعة مناضلي حزب الشعب بشكل أكثر تنظيم وجدية لتحضير العمل المسلح، وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى إجماع الكثير من المؤرخين والمهتمين بهذه المرحلة على أن مجازر 8 ماي 1945 هي نواة لتعبئة ثورية تفجرت سنة 1954.
4. شكلت مجازر 8 ماي 1945 منعرجًا حاسمًا وخطيرًا في تاريخ حزب الشعب الجزائري،ثم حركة الانتصار من أجل الحريات الديمقراطية(PPA-MTLD)، وكوّنت الأرضية التي انطلقت منها دعوة بعض إطاراتها إلى ضرورة تشكيل جناح مسلح للحركة يكلف بالإعداد المادي والبشري للثورة المسلحة.